الآفة الرابعة والعشرون
الشُّـــح

والآفة الرابعة والعشرون التى أصابت وتصيب نفرًا من العاملين وكانت سببًا فى كثير ممَّا نعانى نحن ـ المسلمين ـ اليوم إنما هى : « الشُّح » .

وحتى يتطهر منها من ابتلى بها ، ويتَّقيها مَنْ عافاه الله ـ عز وجل ـ منها ، فإننا سنقف على أبعادها ، ومعالمها من خلال هذه الفقرات .

أولا : تعريف الشح :

لغة : يطلق الشُّح لغةً على معانٍ منها :

أ ـ حرص النفس على ما تملك ، وبخلها به ، أو هو ضد الإيثار ، إذ المؤثر غيره على نفسه تاركٌ لما هو محتاج إليه ، والشحيح حريص على ما ليس بيده ، فإذا حصل بيده شحَّ ، وبخل بإخراجه، نقول : شح فلان بالشىء : بخل ، وشحَّ على الشىء : حرص ، فهو شحيح وشَحَّاح .

ب ـ القلة والعسر ، نقول : شحَّ الماء ونحوه ، شحًا : قَلَّ ، وعسُر ، وشحَّ الزِّناد : لم يور؛ أى لم يشتعل .

جـ ـ التسابق إلى الشىء والتنافس عليه ، نقول : تشاحوا فى الأمر وعلى الأمر: تسابقوا ، وتنافسوا ، وتشاح الخصمان : بدا حرصهما على الغلبة .

د ـ المخاصمة أو المماحكة والمجادلة، نقول: شاح فلانا : خاصمه ، وماحكه، ويقول العلماء : لا مشاحة فى الاصطلاح: لا مجادلة فيما تعارفوا عليه [1] .

وعندى أنه لا تعارض بين هذه المعانى جميعًا، إذ الشح: حرص أو بخل، يتلخص فى المنع، أو العطاء بقلة، وربما يحمل على التنافس والمخاصمة أو المجادلة.

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ١ / ٤٧٤ بتصرف .

اصطلاحًا : له معنيان :

أحدهما عرفى : وهو البخل بالمال ، حتى صار معروفا بين الناس أنه لو أطلقت كلمة شح انصرفت مباشرة إلى إمساك المال وعدم بذله .

والآخر شرعى : وهو البخل بكل برٍّ ومعروف مالا أو غيره ، فى يده أو فى يد غيره ، ولهذا المعنى الشرعى شواهد وأدلة ، منها :

١ ـ قوله ﷺ : « اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (١) .

وفى رواية : « إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح : أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا » (٢) .

٢ ـ قوله ﷺ : « البخيل مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصل علىَّ » (٣) .

٣ ـ وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إن لفلان فى حائطى عذقا (٤) وإنه قد آذانى، وشق على مكان عذقه ، فأرسل إليه النبى ﷺ فقال : « بعنى عذقك الذى فى حائط فلان » قال: لا، قال : « فهبه لى » قال : لا، قال : « فبعنيه بعذق فى الجنة » قال : لا ، فقال النبى ﷺ : « ما رأيت الذى هو أبخل منك إلا الذى يبخل بالسلام » (٥) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٦ رقم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا بهذا اللفظ ، وأحمد فى : المسند ٢ / ٤٣١ من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ : « إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات عند الله يوم القيامة ، وإياكم والفحش ، فإن الله لايحب الفحش والتفحش ، وإياكم والشح ، فإنه دعا من قبلكم فاستحلوا محارمهم ، وسفكوا دماءهم ، وقطعوا أرحامهم » ، ٣ / ٣٢٣ من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا بلفظ مسلم .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الزكاة : باب فى الشح ٢/ ١٣٣ رقم (١٦٩٨) ، وأحمد فى : المسند ٢ / ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعا ، واللفظ لأبى داود .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات : باب قول رسول الله ﷺ : « رغم أنف رجل » ٥ / ٥١٥ رقم (٣٥٤٦) وعقب عليه الترمذى بقوله : « هذا حديث حسن صحيح غريب» ، وأحمد فى : المسند ١ / ٢٠١ ، كلاهما من حديث الحسن بن على بن أبى طالب .

(٤) العذْق : العرجون بما فيه من الشماريخ ، ويجمع على عذاق ، أما العَذْق بالفتح فهو النخلة، ومنه قوله ﷺ فى الحديث : « كم من عَذْق مذلل فى الجنة لأبى الدحداح » . انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٧٧ .

(٥) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٣ / ٣٢٨ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعا بهذا اللفظ .

إلى غير ذلك من النصوص الشرعية الدالة علـى أن الشح فى لسان الشرع: إنما هو البخل بكل بر ومعروف ، مالا أو غيره ، فى يده أو فى يد غيره .

ثانيًا : مظاهر الشح وقيمته فى ميزان الإسلام :

وللشح ـ بمعناه الشرعى الذى ذكرنا ـ مظاهر تدل عليه ، وأمارات يعرف بها ، وأهم هذه المظاهر ، وتلك الأمارات :

١ ـ البخل بالرئاسة، بأن يكون المرء صاحب رئاسة تعود على الدين والأمة بالخير، ثم يحبس هذه الرئاسة،فلا يصرفها فى خدمة الدين ومصالح الأمة .

٢ ـ البخل بالوجاهة ، بأن يكون المرء من بيت معروف بشرف ووجاهة يفيدان حماية الحق ومؤازرته ، ثم يحبس هذا الشرف وهذه الوجاهة عن أن يقفا مع هذا الحق ويؤازرانه .

٣ ـ البخل براحته ورفاهيته وإجمام نفسه عن أن تكون هذه جميعا فى مصلحة الغير مع قدرته على ذلك .

٤ ـ البخل بالعلم بمعنى حبسه عن الناس وإن سألوه ، أو حبس الجواب الكافى الشافى عند السؤال ، والاقتصار فى الجواب ، ولاسيما عند الفتيا ، بكتابة « نعم » أو « لا » .

٥ ـ البخل بنفع البدن فى أى صورة من الصور ، كالعدل بين الناس ومواساة ذوى الحاجة ، وإماطة الأذى عن الطريق ، وإرشاد الضال أو التائه إلى الطريق والإفساح فى المجلس ونحوه .

٦ ـ البخل بحسن الخلق من عدم مقابلة السيئة بمثلها، ومن العفو، وكف الأذى.

٧ ـ البخل بالنفس ، فلا يضحى بها ولا يبذلها فداءً لدين الله ، مع أنه يرى حرمة الدين تنتهك متمثلة فى نشر الشرك والإلحاد، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال ، والعدوان على المقدسات ونحوها .

٨ ـ البخل بالمال ، بمعنى حبسه عن صرفه فى أوجه الخير والاستحقاق .

٩ ـ البخل بما يقدمه الآخرون من نفس ومال خدمة لدين الله عز وجل ، على نحو ما يصنعه الرسميون اليوم من ملاحقة وإيذاء كل من يصنع ذلك ، متهمين إياه بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان بحجة تجفيف المنابع .

١٠ ـ لمز الآخرين فيما يقدمون على نحو ما قال المنافقون فى نفر من المؤمنين لم يجدوا ما يتصدقون به سوى جهدهم ، وحكاه الحق تبارك وتعالى فى كتابه فقال : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة] ، وهلم جرًا .

والشح بكل صوره ، ومظاهره مذموم . فقد بين الله فى كتابه أن من طهرت نفسه من الشح فهو من المفلحين حقا، فقال : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر، التغابن : ١٦]

وعن أبى الهياج الأسدى قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول: «اللهم قنى شح نفسى» لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: « إنى إذا وقيت شح نفسى لم أسرق، ولم أزن ، ولم أفعل شيئا »، وإذا الرجل : عبد الرحمن بن عوف [١] .

وعن ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ قال : « مَنْ وَقى شحَّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا ، ولم يقربه ، ولم يَدْعه الشح أن يحبس من الحلال شيئا فهو من المفلحين » [٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قوله : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ يقول : هوى نفسه ، حيث يتبع هواه ، ولم يقبل الإيمان » [٣] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ : أن يعمد إلى مال غيره فيأكله » [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير فى : جامع البيان ٢٨ / ١٢ / ٢٨ من حديث سعيد بن جبير عن أبى الهياج بهذا اللفظ ، وأورده السيوطى فى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٨ / ١٠٨ ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن عساكر .

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير فى : جامع البيان ٢٨ / ١٢ / ٣٠ من طريق يونس قال : أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد ، وساقه بهذا اللفظ .

(٣) الحديث أخرجه ابن جرير فى : جامع البيان ٢٨ / ١٢ / ٨٢ من حديث أبى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، وساق الحديث بهذا اللفظ .

(٤) الحديث أخرجه ابن جرير فى : جامع البيان ٢٨ / ١٢ / ٨٢ من حديث سفيان عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن ابن مسعود ، وساق الحديث بهذا اللفظ .

ويقول ابن جرير ـ رحمه الله : « وقوله : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ يقول : فهؤلاء الذين وقوا شح أنفسهم المنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم »[١] .

كما بين ـ سبحانه ـ أن الشحَّ على المؤمنين بالخير من البر والمعروف من صفات المنافقين ، وكفى بهذا ذما للشح ، فقال : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب] .

يقول أبو الحسن الماوردى :

« قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أشحة بالخير ، قاله مجاهد .

الثانى : بالقتال معكم ، قاله ابن كامل .

الثالث : بالغنائم أصابوها ، قاله السدِّى .

الرابع : أشحة بالنفقة فى سبيل الله ، قاله قتادة »[٢] .

ويقول أيضا : « قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ ، فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : على قسمة الغنيمة ، قاله يحيى بن سلام .

الثانى : على المال ينفقونه فى سبيل الله ، قاله السدى .

الثالث : على النبىﷺ بظفره »[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وقالﷺ فوق ما ذكرنا من أحاديث فى تعريف الشح، وكلها فى ذمه : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما

---

(١) انظر : جامع البيان لابن جرير الطبرى ٢٨ / ١٢ / ٨٢ .
(٢) انظر : النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردى ٣ / ٣١٢ .
(٣) انظر : النكت والعيون ٣ / ٣١٣ .

المنفق فلا ينفق إلا سبغت ، أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه ، وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع»[(١)].

يقول الإمام الخطابى ـ رحمه الله: « هذا مثل ضربه رسول اللهﷺللجواد المنفق، والبخيل الممسك ، وشبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعًا يستجن بها ـ يعنى يستتر ـ فصبها على رأسه ليلبسها، والدرع أول ما يلبس إنما يقع على موضع الصدر والثديين إلى أن يسلك لابسها يديه فى كميها ، ويرسل ذيلها على أسفل بدنه فيستمر سفلا ، فجعلﷺمثل المنفق مثل من لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه ، وحصنته ، وجعل البخيل كرجل كانت يداه مغلولتين إلى عنقه ، ناتئتين دون صدره، فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينهما ، وبين أن تمر سُفلا على البدن ، واجتمعت فى عنقه ، فلزمت ترقوته ، فكانت ثقلا ووبالا عليه من غير وقاية له ، أو تحصين لبدنه .

وحقيقة المعنى : أن الجواد إذا هم بالنفقة اتسع لذلك صدره، وطاوعته يداه فامتدتا بالعطاء والبذل ، وأن البخيل يضيق صدره ، وتنقبض يداه عن الإنفاق فى المعروف والصدقة .

وإلى هذا المعنى أشير ـ والله أعلم ـ فى قوله عز وجل : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [المائدة: ٦٤] »[(٢)] .

ثالثا : أسباب الشح :

وللشح أسباب توقع فيه وبواعث تدعو إليه، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث:

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب مثل المتصدق والبخيل ٢ / ١٤٢، ١٤٣ ،وكتاب الجهاد: باب ما قيل فى درع النبىﷺوالقميص فى الحرب ٤ / ٥٠ ، وكتاب الطلاق : باب الإشارة فى الطلاق والأمور ٧ / ٦٧ ، وكتاب اللباس : باب جيب القميص عند الصدر وغيره ٧/ ١٨٥ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب مثل المنفق والبخيل ٢ / ٧٠٨ ، ٧٠٩ رقم (١٠٢١)، والنسائى فى: السنن : كتاب الزكاة : باب صدقة البخيل ٥/ ٧٢ رقم (٢٥٤٨)، والكبرى : كتاب الزكاة : باب صدقة البخيل ٢ / ٣٧ ، ٣٨ رقم (٢٣٢٩] ، وأحمد فى : المسند ٢/ ٢٥٦ ، ٣٨٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعًا ، واللفظ للبخارى .

(٢) انظر : أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى ١ / ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، وعنه نقل الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣ / ٣٠٦ بتصرف كثير .

١ ـ الوسط الذى يعيش فيه المسلم :

فقد يعيش المسلم فى وسط معروف بالشح ، ونعنى بالوسط هنا القريب ـ وهو البيت، والبعيد ـ وهو المجتمع. ولا تكون لدى هذا المسلم الحصانة الكافية ، وحينئذ يتأثر بهذا الوسط ، وتنتقل عدواه إليه ، فيبخل بكل بر أو معروف : مالا أو غيره ، فى يده أو فى يد غيره .

ولهذا المعنى وغيره أكد الإسلام على ضرورة نظافة وطهارة واستقامة الوسط الذى يعيش فيه المسلم .

وقد ذكرنا غير مرة ، وفى أكثر من آفة بعض النصوص الداعية إلى ذلك سواء فى البيت أو فى المجتمع .

٢ ـ حب الدنيا مع توهم الفقر :

وقد يكون حب الدنيا ببريقها وزخارفها وزينتها من الأسباب المؤدية إلى الشح، حيث يتوهم من ابتلاه الله بحب الدنيا أنه إن أعطى فسيخلوا جيبه ، وستضيع صحته وعافيته وسيريق ماء وجهه ، وتذهب مكانته ومنزلته بين الناس ، ويبدد أوقاته ، ويعرض نفسه لما لا تحمد عقباه من الأذى بكل صنوفه وأشكاله المادية والمعنوية .

وخير له أن يمسك بره ومعروفه عن الناس كى تدوم دنياه ، ناسيا أو متناسيا أن الله يخلف على عبده كما قال : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ : ٣٩] .

ولعل هذا من بين الأسباب التى من أجلها ذم الله ـ عز وجل ـ حب الدنيا ، والمحبين لها ، إذ يقول سبحانه : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القيامة]

يقول الماوردى : « قوله : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ فيه وجهان : أحدهما: تحبون ثواب الدنيا، وتذرون ثواب الآخرة ، قاله مقاتل، وثانيهما : تحبون عمل الدنيا ، وتذرون عمل الآخرة »(١) .

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإنسان] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم] . ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ [النحل] .

(١) انظر : النكت والعيون ٤ / ٣٦١ .

٣ ـ إهمال النفس من المجاهدة :

وقد يكون إهمال النفس من المجاهدة من بين الأسباب التى توقع فى الشح ؛ ذلك أن المرء مجبول بفطرته على الشح ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات] .

فقد فسر العلماء الخير هنا بالمال ، أو بالدنيا ، إذ يقول الماوردى : « قوله : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد ﴾ يعنى الإنسان ، وفى « الخير » ها هنا وجهان: الأول: المال ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والثانى : الدنيا ، قاله ابن زيد، ويحتمل ثالثا : أن الخير ها هنا : الاختيار ، ويكون معناه ، وإنه لحب اختياره لنفسه شديد »[١] .

وكما قال النبى ﷺ : « لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين: فى حب الدنيا، وطول الأمل »[٢] . وفى رواية: « يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر »[٣] .

فقد قال الإمام النووى ـ رحمه الله : « هذا مجاز ، واستعارة ، ومعناه : أن قلب الشيخ كامل الحب للمال ، متحكم فى ذلك ، كاحتكام قوة الشاب فى شبابه ، هذا صوابه ، وقيل فى تفسيره غير هذا مما لا يرتضى »[٤] .

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض العلماء بيان الحكمة فى التخصيص بهذين الأمرين، وخلاصته: «أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فهو فى بقائها، فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال؛ لأنه من أعظم الأسباب فى دوام الصحة التى ينشأ عنها غالبا طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ، ورغبته فى دوامه »[٥] .

أجل ، إن المرء مجبول بفطرته على الشح ـ كما رأينا من هذه النصوص ـ وقد يستسلم هذا المرء إلى هذا الذى فطر عليه ، ولا يسوس نفسه ، ولا يجاهدها ، وتكون العاقبة تمكن هذا الشح من نفسه بصورة يصعب معها العلاج .

---

(١) انظر : النكت والعيون ٤ / ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر ٨ / ١١١ ، من حديث أبى هريرة مرفوعا بهذا اللفظ .

(٣) هذه الرواية أخرجها البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر ٨ / ١١١، وأحمد فى : المسند ٣ / ١١٥ ، ١١٩ ، ١٦٩ ، ٢٧٥ ، كلاهما من حديث أنس بن مالك مرفوعا ، واللفظ للبخارى .

(٤، ٥) انظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١١ / ٢٤١ .

٤ ـ الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق :

وقد يكون الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق من أسباب الوقوع فى الشح ؛ ذلك أن المستعلى ، أو المتكبر فى الأرض بغير الحق رسم لنفسه صورة معينة، وأحاطها بهالة خاصة ، ويملى عليه هواه ، وتوسوس له نفسه الأمارة بالسوء ، ويغريه أقرانه من شياطين الجن والإنس ، وتزين له الدنيا ـ أنه لا بد له كى يحتفظ بهذه الصورة التى رسمها لنفسه ، وتلك الهالة التى أحاطها بها ألا يأتى ما فيه عون ، وبر للآخرين ، إذ هم المطالبون أن يكونوا فى خدمته وحاجته لا أن يكون هو فى خدمتهم وحاجتهم ، وحينئذ يقع فى آفة الشح والعياذ بالله .

٥ ـ عدم اليقين بما عند الله :

وقد يكون عدم اليقين بما عند الله من ثواب الدنيا والآخرة هو الباعث على الشح.

ذلك أن من لم يصدق تصديقا لا يقبل الشك بحال أن الله يخلف على العبد أكثر مما يعطى هذا العبد، بل هو المانح ابتداء من غير حول من الخلق، ولا قوة ولا طول.

من لم يصدق بذلك يبخل ، بل يشح .

وقد لفت رب العزة النظر إلى هذا السبب حين قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل] .

يقول الماوردى : « وفى قوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ وجهان : أحدهما : بخل بماله الذى لا يبقى ، قاله ابن عباس والحسن . والثانى: بخل بحق الله تعالى ، قاله قتادة ، ﴿ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ فيه وجهان : أحدهما : بماله، قاله الحسن . والثانى : عن ربه، قاله ابن عباس ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ فيه التأويلات السبعة ـ يعنى التى ذكرها فى قوله: ﴿وصدقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أحدها: كذب بتوحيد الله وهو قول: لا إله إلا الله، قاله الضحاك، الثانى: بموعود الله، قاله قتادة، الثالث : بالجنة، قاله مجاهد ، الرابع : بالثواب ، قاله خصيف ، الخامس : بالصلاة، والزكاة، والصوم، قاله زيد بن أسلم، السادس : بما أنعم الله عليه، قاله عطاء ، السابع : بالخلف عن عطائه، قاله الحسن ، ومعانى أكثرها متقاربة »[1] .

---

(١) انظر : النكت والعيون ٤ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

٦ ـ الحقد :

وقد يكون الحقد من بين الأسباب التى توقع فى الشح ، ذلك أن المرء إذا كان حاقدًا على غيره، فإنه سيسعى جاهدًا ألا ينفعه بنافعة من نفس، أو مال، أو هما معا.

وهذا أمر بدهى ألمح إليه رب العزة وهو يتحدث عن موقف الأنصار من المهاجرين ، فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر] .

فقد بين ـ سبحانه ـ فى هذه الآية أن الذى حمل هؤلاء الأنصار على التضحية التى وصلت إلى حد الإيثار ، إنما هو الإيمان النابع من سلامة الصدر من الأحقاد ، والذى أثمر المحبة والمودة والموالاة .

يقول الماوردى : « قوله: ﴿ **يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا** ﴾ فيه وجهان : أحدهما : غيرة وحسدا على ماقدموا به من تفضيل وتقريب ، وهو محتمل ، والثانى : يعنى حسدًا على ما خصوا به من مال الفيء ، وغيره ، فلا يحسدونهم عليه ، قاله الحسن »[1] .

٧ ـ الغفلة عن العواقب المترتبة على الشح :

وأخيرًا، قد تكون الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على الشح : دينية أو دنيوية، على العاملين ، أو على العمل الإسلامى هى السبب فى الوقوع فى الشح، فإن من جهل عاقبة الشيء الضارة ، وأثره المهلك ، تردى فى هذا الشيء وهو لا يدرى .

رابعًا : آثار الشح :

وللشح آثار ضارة ، وعواقب مهلكة، على العاملين والعمل الإسلامى ، ودونك طرفا من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثار الشح على العاملين :

---

(١) انظر : النكت والعيون ٤ / ٢١٢ .

١ ـ حمل النفس على الوقوع فى كل إثم ورذيلة :

وخلاصة وفحوى هذا الأثر : أن من ابتلاه الله بداء الشح فبخل بكل بر ومعروف فى يده أو فى يد غيره ، لا بد له من عمل يشغل به نفسه ، وهذا العمل لا يخرج أن يكون توظيفا للنفس فى الإتيان بكل إثم ورذيلة ، من منطلق : « أن نفسك التى بين جنبيك ، إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل » .

ولقد أرشدنا النبىﷺ إلى الآثام والرذائل التى يثمرها البخل حين قال فى الحديث الذى تقدم فى تعريف الشح : « . . . واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم »(١) .

وفى رواية : « إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح : أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا »(٢) .

وقد فهم ذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، إذ قدمنا عن أبى الهياج الأسدى قوله : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلا يقول : « اللهم قنى شح نفسى » . لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: « إنى إذا وقيت شح نفسى: لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئا » ، وإذا الرجل : عبد الرحمن بن عوف(٣) .

٢ ـ القلق والاضطراب النفسى :

والأثر الثانى الذى يتركه الشح على العاملين : إنما هو القلق والاضطراب النفسى، وذلك أن الشحيح صار غارقا بشحه فى الآثام والرذائل: صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها كما قدمنا،ومثل هذا الصنف من الناس يعاقبه الله بأشد العقاب فى الدنيا، وهو القلق والاضطراب النفسى، مصداقا لقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن] . ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

٣ ـ العذاب الشديد فى الآخرة :

ولا يقف أثر الشح على العاملين عند حد العقاب فى الدنيا بالقلق والاضطراب النفسى ، بل يتعداه إلى عقاب الآخرة ، وهو العذاب الشديد فى نار جهنم ، وهذا هو الأثر الثالث .

(١، ٢) سبق تخريجهما صفحة ٦٨، حاشية رقم (١ ، ٢) .

(٣) سبق تخريجه صفحة ٧١ ، حاشية رقم (١] .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء]. ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجن].

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأما آثار الشح على العمل الإسلامى فكثيرة أيضا ، وأهمها :

١ ـ الفرقة والتمزق :

ذلك أن عملا كل المنتمين إليه والقائمين به أو أكثرهم معروف بالشح ، لا يمكن أن يجمع الله هؤلاء على قلب رجل واحد أبدا بحيث يصيرون الروح الواحد ، والفكر الواحد ، والمشاعر الواحدة ويصدرون عن رأى واحد ، وإن تعددت منهم الأجساد ، بل على العكس يمزقهم الله شر ممزق ، جزاء وفاقا .

٢ ـ طول الطريق وكثرة التكاليف :

وإذا ابتلى العمل الإسلامى بالفرقة والقطيعة بين أهله،ومزقوا شر ممزق ، كانت النتيجة : تمكن العدو ، وإحكامه القبضة على أعناقنا ، وتضييق الخناق علينا، فتطول الطريق ، وتكثر التكاليف ، على النحو الذى نشهده ، ونعيشه نحن المسلمين اليوم .

خامسا : علاج الشح :

وما دمنا قد وقفنا على ماهية الشح ، ومظاهره ، وأسبابه ، وآثاره على العاملين ، وعلى العمل الإسلامى فقد أصبح من السهل علينا وصف الدواء ، بل الوقاية من هذا الداء ، وإليك السبيل :

١ ـ النظر فى العواقب والآثار المترتبة على الشح فى الدنيا والدين ، فإن مثل هذا النظر مما يخوف النفوس، ويحركها من داخلها، الأمر الذى ييسر عليها سبيل الإقلاع، والتخلص من هذا الداء .

٢ ـ اليقين التام بما عند الله من الأجر والمثوبة ، والنعيم المقيم : ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [القصص] . ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى]. ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]. ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ] .

٣ ـ العيش الطويل مع كتاب الله عز وجل للوقوف على خبر وعاقبة أهل الشح

والبخل، وكذلك خبر وثواب أهل العطاء والجود، الأمر الذى ييسر علينا سبيل التخلص من أخلاق الأشحاء، ويحملنا على التحلى بأخلاق الأجواد ممن وصفنا .

٤ ـ دوام النظر فى سنة وسيرة وهدى نبينا محمد ﷺ مع النعمة التى أنعم الله بها عليه من مال أو غيره، وكيف كان من أحرص الخلق على إنفاق هذه النعمة ، وتوظيفها فى مرضاة الله عز وجل توظيفًا كاملا دون شح أو بخل ؛ إذ يقول ابن عباس رضي الله عنهما فى صفته ﷺ : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة [١] .

قال الحافظ ابن حجر : « قوله : فيدارسه القرآن ، قيل : الحكمة فيه أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس ، والغنى سبب الجود ، والجود فى الشرع إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى ، وهو أعم من الصدقة » [٢] .

ولقد ذكر ابن القيم فى كتابه (مدارج السالكين) مراتب عشرة للجود: مثل : الجود بالنفس ، والجود بالرياسة ، والجود بالجاه ، والجود بالراحة والرفاهية ، والجود بالعلم، والجود بالبدن، والجود بالبشر وبسط الوجه، والجود بالصبر، والجود بالعفو والصفح، والجود بكف الأذى، والجود بالمال والتعفف عما فى أيدى الناس [٣] ، وما من شك فى أنه ﷺ كان مصدر هذه المراتب تلقاها عن ربه وَحْيًا ،ثم حولها إلى واقع عملى فى دنيا الناس، أجل ، إنه لا بد من دوام النظر فى سنة وسيرة وهدى نبينا محمد ﷺ وما كان عليه من الجود بنعمة الله عليه ، وبذلها فيما فيه مرضاته ونفع عباده على النحو الذى

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الوحى : باب منه ١ / ٥ ، وكتاب الصوم : باب أجود ما كان النبى ﷺ يكون فى رمضان ٣/ ٣٣ ، وكتاب بدء الخلق : باب بدء ذكر الملائكة ٤ / ١٣٧ ، وكتاب المناقب : باب صفة النبى ﷺ ٤ / ٢٢٩ ، وكتاب فى فضائل القرآن : باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ ٦/ ٢٢٩، وكتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٨/ ١٦، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الفضائل : باب كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ٤/ ١٨٠٣ ، ١٨٠٤ رقم (٢٣٠٨) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الصيام : باب الفضل والجود فى شهر رمضان ٤/ ١٢٥ (٢٠٩٥) ، والكبرى: كتاب الصيام: باب الفضل والجود فى شهر رمضان (٢٤٠٥) ، وأحمد فى : المسند ١/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، واللفظ للبخارى .

(٢) انظر : فتح البارى ١ / ٣١ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٦ بتصرف كثير .

بينا، فلعل ذلك يحرك نفوس الأشحاء، ويحملهم على التخلص من الشح، ثم التحلى بالجود اقتداء وتأسيا برسول الله ﷺ.

٥ ـ مطالعة أخبار الأجواد من البشر ، ولاسيما أبناء أمتنا المسلمة على نحو ما أثر عن قيس بن سعد بن عبادة ، وكان من الأجواد المعروفين : « أنه مرض مرة ، فاستبطأ إخوانه فى العيادة فسأل عنهم، فقالوا : إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال : أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا ينادى : من كان لقيس عليه مال فهو منه فى حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه ، لكثرة من عاده .

وقالوا له يوما : هل رأيت أسخى منك ؟

قال : نعم ، نزلنا بالبادية على امرأة ، فحضر زوجها ، فقالت : إنه نزل بك ضيفان ، فجاء بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم ؟

فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها . فقلنا : ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير ، فقال : إنى لا أطعم ضيفانى البائت ، فبقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر ، وهو يفعل ذلك ، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذرى لنا إليه ، ومضينا ، فلما طلع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونى ثمن قراى ؟ ثم إنه لحقنا ، وقال : لتأخذنه أو لأطاعننكم برمحى ، فأخذناه وانصرف »[1] .

وعلى نحو ما حفظ عن مفتى الديار المصرية الأسبق المرحوم الشيخ محمد حسنين مخلوف ، إذ أوى فى داره واحدًا من أبناء الحركة الإسلامية الفارين من جحيم زعماء ثورة يوليو المصرية المباركة لعشر سنين ، وهو يعلم تمام العلم أنه لو كشف أمره ، فإن رقبته هى ثمن هذا الإيواء، ولكن جوده هو الذى حمله على ذلك مستعينا بالله. نعم، إن مطالعة أخبار هذا الصنف من البشر له دور كبير فى تحريك الأشحاء من داخلهم ، علهم يتوبون أو يذكرون .

٦ ـ الانسلاخ من الوسط المعروف بالشح ،والارتماء فى الأوساط المعروفة بالجود والسخاء ، فإن مثل ذلك يحمل الشحيح على الاقتداء والتأسى ، أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢ / ٢٩٢ .

٧ ـ التخلص من داء الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق، على نحو ما رسمنا فى الجزء الأول من هذه الآفات ، فإن من تحرر من الاستعلاء والتكبر فى الأرض بغير الحق يسهل عليه أن يتحرر بعد ذلك من الشح على اعتبار أنه ثمرة من ثماره المرة .

٨ ـ تطهير الصدر من الأحقاد، فإن الصدر إذا طهر من الأحقاد سهل على صاحبه أن يتحرر من الشح ، وربما تجاوز ذلك إلى المواساة بل الإيثار ، على نحو ما جاء فى كتاب الله عن الأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

٩ ـ مجاهدة النفس، وأخذها بالعزيمة، وحملها حملا على ترك الشح وأن تتحلى بالمواساة بل بالإيثار، ويحسن أن يأخذها صاحبها بالتدريج مع الترغيب تارة، والترهيب أخرى ، ويصبر على ذلك زمانًا ، فإن هذه المجاهدة إن كانت صادقة توصل بسرعة إلى المراد، وصدق الله الذى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت].

١٠ ـ كثرة الدعاء والضراعة إلى الله الذى بيده مقاليد السموات والأرض ، فإن هذا الدعاء وهذه الضراعة إن كانا صادقين أجاب الله ، وأعان على النفس ، ورزق التخلص من هذا الداء، وكيف لايكون الأمر كذلك، والله سبحانه يقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر] .

١١ ـ النظر إلى النعم التى أفاض الله علينا على أنها ليست ملكا لنا حتى نمنعها عن عباده ، وإنما هى ملك لله ، ونحن أمناء أو خزنة فقط على هذه النعم ، ومن واجب الأمين أو الخازن أن يتصدق وفق مراد صاحب النعمة ، وقد دعا صاحب النعمة إلى إنفاقها على عباده، وفى مرضاته، مع الوعد الحق بأنه سيخلف أضعافا مضاعفة، إذ يقول سبحانه: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد] . ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

[سبأ]

١٢ ـ محاسبة النفس أولا بأول ، فإن المحاسبة لها دور كبير فى التخلص من هذا الداء ، ولاسيما إذا كان مع المحاسبة تأديب للنفس ، واستئصال لدائها عن طريق العقاب .

١٣ ـ التذكير الدائم بكل ما يتصل بهذه الآفة على النحو الذى ذكرناه، فإن الإنسان بفطرته ينسى، وعلاج النسيان إنما يكون بالتذكير والتبصير، كما قال سبحانه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات] . ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى] .

١٤ ـ فتح مجالات أو ميادين يمارس فيها الأشحاء صنوف البر والمعروف ، ويهون عليهم أن يوظفوا ما لديهم من طاقات وإمكانات .

١٥ ـ تشجيع هذا الصنف من الناس حين يأتى برّا أو معروفا بالثناء والمدح ، فإن المرء كثيرا ما ينجح مع نفسه بالثناء والمدح على نحو ما جاء فى حديث عبد الله بن عمر ﷺ فى مسألة غير الشح ، إذ يقول :

كنتُ غلاما شابا عزبا فى عهد النبى ﷺ وكنت أبيت فى المسجد ، وكان من رأى مناما قصه على النبى ﷺ فقلت : اللهم إن كان لى عندك خير ، فأرنا مناما يعبره لى رسول الله ﷺ فنمت ، فرأيت ملكين أتيانى ، فانطلقا بى ، فلقيهما ملك آخر فقال لى : لن تراع، إنك رجل صالح، فانطلقا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا فيها ناس قد عرفت بعضهم ، فأخذا بى ذات اليمين ، فلما أصبحت ذكرت ذلك لحفصة ، فزعمت حفصة أنها قصتها على النبى ﷺ، فقال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل » [(١)].

فقد أثر هذا الثناء فى ابن عمر : قال الزهرى : وكان عبد الله بعد ذلك يكثر الصلاة من الليل .

١٦ ـ الوقوف على عواقب الأشحاء والبخلاء كأصحاب الجنة المذكورين فى سورة القلم ، ويمكن الاعتماد على كتاب البخلاء للجاحظ فى تغطية هذا الجانب ، فإن مثل ذلك مما يحمل العقلاء غالبا على تجنب ما يؤدى إلى هذه العواقب ، أعنى: الشح ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التهجد : باب فضل من تعار من الليل فصلى ٢/٦٩، وكتاب التعبير : باب الأمن وذهاب الروع فى المنام ، وباب الأخذ على اليمين فى النوم ٩ / ٥١ ، ٥٢، وكتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ ٥ / ٣٠ ، ٣١ ومسلم فى : الصحيح: كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل عبد الله بن عمر ﷺ ٤ / ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ رقم (٢٤٧٨ ، ٢٤٧٩) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب تعبير الرؤيا : باب تعبير الرؤيا ٢ / ١٢٩١ رقم (٣٩١٩)، وأحمد فى : المسند ٢ / ١٤٦، كلهم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعا ، واللفظ للبخارى .